ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

الأندية الأدبية والصحافة في سلا
من إثراء الفعل الثقافي إلى مجابهة المد الاستعماري

د. عزيز بويغف
أستاذ باحث
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
ورزازات – المملكة المغربية

مُلَخّصْ

كانت حاضرة "سَلَا" المغربية حاضرة فكر وثقافة وعرفان، عُرِفَت المدينة بتاريخها المجيد التليد، وإرثها الثقافي والحضاري الضارب في القدم، لذلك اشتغلت عليها كثير من الدراسات، فنوَّهت بأعلامها واحتفت بتاريخها الزاخر الثري. لقد كانت وما تزال مركزًا ثقافيًا عريقًا، فكان لها قصب السبق في مواجهة كل الأخطار المحدقة بالوطن، إن قديمًا أو حديثًا. وفي ظل التغلغل الاستعماري الذي شهده المغرب مطلع القرن العشرين خاصة بعد توقيع معاهدة الحماية سنة ١٩١٢م، وقفت "سَلَا" لتُجابه المد الاستعماري، ولترد خطر الاستلاب والإغراب الذي اتخذه الاستعمار وسيلة لاختراق الثقافة المغربية الأصيلة، وضربها من الداخل. في هذا الإطار ظهرت الأندية الأدبية في سلا كفضاءات للسجال الفكري والتلاقح الثقافي، وكحراك رَامَ الاحتفاء بالثقافة المغربية الأصيلة، والتعريف بأعلامها ورواده الذين بذلوا النفيس، وقدموا للأمة تضحيات كانت سببًا في استمرار هويتها وحضارتها شامخة عظيمة. وإلى جانب الأندية الأدبية، ظهرت الصحافة كمؤسسة حديثة، كانت الوعاء وصلة الوصل بين هذا الحراك الثقافي والفكري والمتلقي المغربي الذي كان متعطشًا لاكتشاف تاريخه، والاطلاع على مفاخره ومنجزاته. لقد كانت الصحافة دليلاً على توتر معرفي وفكري شهده المغرب إبان هذه المرحلة العصيبة من تاريخه، كانت وثيقة على سريان الوعي في أوصال الأمة خاصةً رعيلها الأول. وقد عمدنا، لإماطة اللثام عن الموضوع، إلى الاشتغال على مجموعة من الوثائق التي حصلنا عليها من أرشيف المملكة المغربية بالرباط، كما أسعفتنا دراسات جادة في الموضوع في تبين إسهامات الأندية الأدبية والصحافة في تحريك الراكد إبان الحماية، وإرساء ركائز سجال ثقافي ابتغى نفض الغبار عن حضارتنا الأصيلة، أبرزها مُؤَلَّف الأستاذ الدكتور مصطفى الشليح "المعرفة/ المؤسسة/ السلطة في الثقافة المغربية بسَلَا، ومؤلف الأستاذ الدكتور "العربي واحي" المجتمع السلاوي في ظل الحماية، وغيرها من المصادر التي مكنتنا من الإحاطة بالموضوع، وإبراز أهمية هذه المؤسسات في تحصين الذات المغربية من الاختراق الاستعماري.

بيانات المقال:
تاريخ استلام المقال: ١٨ نوفمبر ٢٠١٨
تاريخ قبول النشر: ٢٩ نوفمبر ٢٠١٨

كلمات مفتاحية:
المجالس الأدبية، تبادل الأفكار، سلا، جريدة المغرب، جريدة التقدم

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0054807

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
عزيز بويغف. "الأندية الأدبية والصحافة في سلا: من إثراء الفعل الثقافي إلى مجابهة المد الاستعماري".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد الثاني والأربعون؛ ديسمبر ٢٠١٨. ص ١٦٠ – ١٦٦.

مُقَدِّمَةُ

لا غرو أن للحياة الأدبية أُسُسًا تُقوم عليها، ومعينا تنهل منه مقوماتها، وركائز تستنجد بها لتشكيل واجهة ثقافية وفكرية رحبة، تنم عن عُلُو كعب وطولِ باع، واجهة ما تفتأ أن تغوص في ثنايا المجتمع لتعكس شخصية يكون ميسمها الإبداع والثراء المعرفي. والشخصية هنا شخصية مغربية المحتد، سلاوية الهوى، نهلت من شتى ضروب العلم النافع، فتأثرت وأثرت، تم لها ذلك، وهي تتأمل وتتفاعل، وتحاول

اقتحام حصون الآخر الذي كان همه نخر الثقافة المغربية من الداخل، وطمس معالمها الحضارية.

لقد كان المسجد الحلقة الأولى للتأمل والتقرب من الله، وهو المؤسسة العريقة التي قامت عليها الثقافة الإسلامية، ثم برزت الزاوية كرمز للانفتاح والتعبد والتآزر الاجتماعي، ولعلها الداعم الأساس للمسجد في أداء رسالته النبيلة، والكُتَّاب الذي يُعد مهد التعليم ومحطته الأولى، ثم المدرسة التي هي الامتداد الطبيعي لهذه المؤسسات الأولى، والكنف الذي أَطَّرَ فعلها الثقافي والحضاري. وحتى يمتد الفعل الثقافي السلاوي ويُوجِدَ عُمقه، وحتى يجد المثقف السلاوي أشكالا ثقافية أخرى، تحتضن عطاءه الفكري، وتعكس تجربته في مختلف تجلياتها، كان لابد من ظهور أشكال ثقافية أخرى تكون مصب الفعل الثقافي الذي أرساه المسجد والكُتَّاب والزاوية والمدرسة العتيقة، هكذا ظهرت الأندية الأدبية كصالونات للسجال الفكري والثقافي وتبادل الأفكار، كما ظهرت الصحافة كشكل ثقافي راقٍ، كان وعاء التجربة وضامن انتشارها في شتى ربوع الوطن، ما شكل بؤرة تجدد أدبي وفكري ومعرفي.

فكيف استطاعت هذه المؤسسات خلق توتر ثقافي وفكري حَرَّكَ الراكد، وفتح عيون المثقف المغربي على تجارب أدبية وثقافية رائدة. وكيف استطاعت إفشال بعض مخططات الاستعمار، والتي كانت تهدف إلى ضرب الثقافة المغربية من الداخل، في أفق بلوغ غاية الاستلاب والإغراب.

أولاً: الأندية والمجالس الأدبية
(فضاء للحوار والسجال وتبادل الأفكار)

لقد ساهم التراكم الثقافي والفكري الذي تحقق للمغرب على مر العصور، في ظهور أشكال ثقافية راقية، كان أبرزها المجالس الأدبية التي برزت مع العهد المرابطي واستمرت إلى العصر العلوي، وانتشرت في كل الربوع، فامتد صيتها إلى المدن والقرى البعيدة، إن هاته المجالس "لم تظل حبيسة مراكز ثقافية معينة، فهي لامركزية، وهي منبثة في الصحراء، مبثوثة في القرى والمداشر، موزعة في البوادي والسهول، منشورة في المدن والحواضر. وتاريخ تلك المجالس دونته أمهات الكتب التاريخية من العهد المرابطي إلى العصر العلوي" [1] وإذا كان هذا حال كل ربوع المغرب، فما بالك بمدينة سلا التي تعد مركزا ثقافيا وحضاريا نشيطا، شكل حلقة الوصل بين العلماء والأدباء وبين الشيوخ والمريدين، حلقة كان لها الشأن في بث الروح في المجالس الأدبية التي عرفتها المدينة.

لقد كان للمجالس الأدبية السلاوية أثر عميق ومحوري في الحركة الثقافية والفكرية التي عرفتها سلا، وهي مجالس "لا يخرج جلها عن المذاكرات العلمية، وحل ما أشكل وبيان ما انغلق"[2]. لقد كانت متنفس الأدباء والعلماء فيها يتحاورون ويتساجلون ويتبادلون الأفكار، ينشدون الاستزادة العلمية، ويحاولون تجاوز ما أشكل حتى يصلوا إلى تحقيق مبدأ "الكمال" المعرفي، ولعل أشهر نادٍ أدبي عرفته سلا "النادي الأدبي الإسلامي لمدرسة أبناء الأعيان" والذي كان الهدف من تأسيسه "بث روح العلم والتعليم بنشر أفكار علمية وإلقاء مسامرات أدبية"[3]، تأسس هذا النادي سنة ١٩٢٧م وكان هاجس الرقي بالثقافة والعلم في سلا أبرز مراميه وأهدافه، فالقصد من تأسيسه" تمتين العلائق الودية بين التلاميذ وإحياء العلوم خصوصًا لغة القرآن الشريف اقتداء ببعض المدن المغربية، وهذا مبدأ شريف يتمنى نجاحه كل ذي فكر ولب، محب لدينه ودنياه"[4].

كان النادي الأدبي السلاوي يروم الاحتفاء بالمعرفة والثقافة والفكر، خاصة الفكر الإسلامي، كان يبحث عن تحقيق الانسجام والتفاعل والتلاقح الفكري بين رواده، وتحفيزهم على مزيد من الاطلاع والبحث والنبش في مختلف مناحي الثقافة، ومطالعة الكتب باللغتين العربية والفرنسية، فهو ليس مجلس تزمت وتعصب وانغلاق، بل على العكس من ذلك، فقد "جعل من أولوية الأولويات لديه الحفاظ على اللغة العربية، فهي لغة الإسلام ولغة التراث وبذلك يكون النادي قد جعل نفسه في واجهة من واجهات النضال الوطني ضد الاستعمار ألا وهي الواجهة الثقافية، ودونما السقوط في نظرة شوفينية أوْلَى النادي عناية خاصة للغة الفرنسية، فهي أولا لغة المستعمر والظرف التاريخي يستوجب إتقانها، والوصول إلى أسرارها للرد على المستعمر بلغته.."[5] كان همه الدعوة لقراءة حرة، واطلاع متعدد ممتد، يعكس ثراء فضاءات العلم وغنى مجالاته، إنها قراءة تحمل دلالات الانفتاح، ولعله انفتاح على عوالم فكرية وثقافية جديدة، انفتاح يصبو إلى إعادة الروح للمجتمع، وإنقاذه من براثن الأمية والجهل والضياع. إن القراءة التي أسس النادي الأدبي السلاوي قواعدها، قراءة هادفة، قراءة تحاول أن تنهل من شتى مناحي العلم والفكر والثقافة ما تستطيع به

النهوض والاستمرار، فتكون قراءة رصينة دقيقة تروم التحليل والنقد، قراءة أدبية، علمية، إسلامية، القصد منها معاونة الذات والغير على التعلم والمطالعة الرصينة.

لقد اهتم النادي الأدبي السلاوي بالمحاضرات الأدبية، ورأى فيها السبيل إلى إحراز قيم جديدة، هي قيم الوعي بالذات والآخر، قيم إدراك أسمى مراتب العلم، وتحقيق مبادئ الوعي والفهم والتمحيص "كان تكسير الطوق مهمة ندبت الأندية الأدبية نفسها لانجازها في عتمة أمية مستبدة، وجهل طاغ، وسلوكات مجتمعية منحرفة "[٦]. تكسير طوق الجهل والأمية لم يكن بالمهمة الهينة، خاصة في ظل الظروف التي تأسس فيها النادي الأدبي السلاوي، لقد كان صرخة في وجه التخلف الفكري، وطفرة نوعية تروم إحداث خلخلة إيجابية في ميزان التثقيف والتحصيل العلمي، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تحول عميق في ذهنية المثقف المغربي، الذي أبى أن يستكين وأن يستسلم لبراثن أمية وجهل حاولا أن يحاصراه من كل جانب، "آمن بذلك بضرورة الانخراط في كل عمل يحلحل الجمود ويزري بالاستكانة والخلود إلى الالتذاذ بترجيع الماضي"[٧]. انخراط كان من نتائجه إرساء أسس سجال وحوار فكري ثر بين علماء ومثقفين من سلا ومن غيرها أثثوا المشهد الثقافي المغربي عبر محاضراتهم القيمة[٨] ومناقشاتهم الغنية التي عكست ثقافة واسعة، منقطعة النظير، ومن هؤلاء المثقف النهضوي سعيد حجي الذي حاضر في موضوع النهضة الأدبية العربية[٩] وفي موضوع المغرب كما يراه الشرق العربي[١٠]، والعالم الشاعر المرحوم عبد الرحمن حجي في موضوع الغزل في الشعر الجاهلي والأموي[١١]، والعلامة عبد الله القباج في موضوع الأدب العربي والشعر[١٢]، وأبو بكر زنيبر في موضوع الجمعيات والأندية وتاريخها قديمًا وحديثًا[١٣]. لم تقتصر هذه المحاضرات على موضوع الأدب فقط بل تعدته إلى العلم والتاريخ، فحاضر أحمد الصبيحي في موضوع العلم قديمًا وحديثًا[١٤]، والمهدي بن عبود في وحدة الحياة[١٥] وعبد الرحمن زنيبر في موضوع السرطان[١٦]وقاسم الزهيري في حديثه عن مراكش[١٧] وعبد الرحمن الفاسي في محاضرة عنوانها شخصية أبي القاسم الزياني[١٨].

لقد حملت الأندية الأدبية في سلا لواء العلم والثقافة، فتحملت بذلك عبء تنشيط الحركة الثقافية في سلا والمغرب التي كان قد أصابها الجمود، فحققت مبدأ التواصل بين مثقفي العصر، وضخت دماء جديدة متجددة في أوصال الحراك الثقافي الذي استطاعت إخراجه من نسق الجمود والانحطاط الذي عاشه دهرًا طويلاً.

خلاصة القول؛ إن المجالس والأندية أثَّرَتْ بشكل جلي في مسار الحركة الأدبية السلاوية، فأسست مناخا جديدا هو مناخ الحوار والتلاقح والتفاعل والقدرة على إبداء الرأي في شتى المواضيع المطروقة، إنها دعوة إلى تجميع الطاقات، وتوحيد الجهود في سبيل إرساء أسس وجه حضاري يؤمن بالاختلاف، ويصر على تحصين الذات من خطر الإغراب وضياع الهوية، ولعلها مهمة اضطلعت بها الصحافة أيضًا.

ثانيًا: الصحافة في سلا
(فضاء لنشر الوعي وتثقيف المجتمع)

لاغرو أن أي مركز ثقافي نشيط، وأن أي حركة أدبية فكرية، تحتاج إلى جسر يكفل لها الانتشار ويكون كنفا لصداها الممتد، ويحتضنها في المهد حتى تبرز وتتشكل فيها مظاهر العنفوان ومياسم الحضور والتأثير، والحركة الأدبية السلاوية كما رأينا غنية ثرة، متجددة، لا يستكين لها جانب، ولا تؤول جهدا حتى تحرز قصب السبق، وفضيلة التميز والفرادة. إن لصيرورة الحركة الأدبية السلاوية صدى، كان المسجد والكُتَّابُ والزاوية والمدرسة فضاءه الأول، ثم كانت المجالس الأدبية الفضاء الأساس الثاني الذي وسم المركزية الثقافية السلاوية بفرادة معينة، فجاءت الصحافة لتكون لسان حال المركز الثقافي تضمن له الانتشار وتزيح عنه أستار النسيان، احتضنت عطاءه وأخرجته من حيز المجلس إلى فضاء أكثر رحابة هو فضاء القُرَّاء على تعدد مشاربهم، ولعل خصوصية الصحافة والمجالس الأدبية أنهما عكسا رغبة صادقة في التحرر والانعتاق من قيود كبلت مسيرة التفكير والتحليل وممارسة النقد، فإذا كان المجلس الأدبي دعوة إلى قراءة عميقة، قراءة تقوم على حُسْنِ تمثل الأشياء ووعي بالواقع الثقافي والإكراهات التي تحاصر هذا الواقع، وعي بالرسالة الحضارية التي يحملها المثقف على عاتقه، رسالة يتحمل مسؤولية ضخ الروح فيها باستمرار، وإمدادها بدماء جديدة تكون الحافز على مزيد من التحصيل والتمحيص وإعمال الفكر، فإن الصحافة احتفاء بالحرية في أزهى صورها، وإذا كانت احتفاء بالحرية، فكيف يمكن أن تقوم صحافة رصينة وطنية دون أن تتوفر لها الشروط الموضوعية لتبرز وتكبر وتحمل مشعل التفكير والتوجيه. إن الحرية شرط كينونة

الصحافة وماهية وجودها، إذ "لا صحافة بدون حرية، ولا نهضة فكرية بدون صحافة، لقد تجذرت هاته المسلمة في ضمير المثقف المغربي فانْشَدَّ إليها، واعتبرها وسيلة حتمية للرقي".[١٩]

كانت الصحافة وما تزال مظهرًا عميقًا من مظاهر النهضة، كانت دليلا على بروز حراك ثقافي وفكري، وإشارة إلى يقظة ووعي فكري يروم الانعتاق من نير الجهل ومتاهات الأمية، إن رسالة الصحافة أن تبث نسائم التجديد في المجتمع، وأن تجعل رياح التغيير تهب عليه من كل الجوانب، رسالتها رسالة التنوير والتثقيف، والتوفيق في إيصال رسالة النهضة إلى أكبر شريحة في المجتمع، في أفق إرساء وعي جمعي جماهيري، وعي تكون الوطنية ورسالة المغرب الحضارية الرسالة الأسمى التي يبتغي نشرها. إن الصحافة "هي الوسيلة الوحيدة لربط علاقات الفرد بالمجتمع وإيضاح الصلة بين الأمة والسلطة، لأنها تساعد على إيجاد جو، تفهم منه الجماعات اتجاه الحكومة، وتدرك الحكومة أماني الشعب"[٢٠]. لقد دافع المغاربة عن حقهم في إرساء دعائم صحافة قوية وهادفة، صحافة ناطقة بلغة الضاد، ذلك أنها استجابة لمراميهم ومطامحهم النبيلة، وتلبية لرغباتهم الدفينة في طي صفحة الماضي الراكد، والتوق إلى مستقبل مشرق، مستقبل صحافة تستطيع المزاوجة بين التنوير والتحصين، وإرساء دعائم خطاب ينزع إلى إذكاء مبادئ التلاقح والتثاقف، وفي نفس الآن الدفاع عن المقومات الحضارية. يقول الأستاذ المرحوم علال الفاسي في هذا الصدد: "وإن الأمة التي لا تملك من الصحافة ما يسد حاجتها، ولا من حرية القول ما يكفل الدفاع عن نفسها، والنضال في شؤونها وبث الروح العلمية والثقافية فيها، لأمة عديمة لكل وسائل الرقي والتقدم، فاقدة لجميع الدوافع والمالأمة التي لا صحافة لها إذن، هي أمة فاقدة لأسس النهضة والتقدم، لمقومات التحضر والتمدن، وهذا ما وعاه الوطنيون السلاويون في فترة كان فيها الاستعمار يحاول أن يحكم قبضته على كل مقدرات الشعب المغربي، فكان رفضه لكل مبادرة لا تستجيب لمراميه في الهيمنة واضحا، يبرز ذلك من خلال رفضه لكل مبادرة تروم تأسيس صحافة مستقلة كانت مطلبًا من مطالب الوطنيين، ومنهم المرحوم سعيد حجي وإبراهيم الكتاني ومحمد اليزيدي "فمنذ دخل المغرب في طوره الجديد، وأبناؤه في كل فرصة ومناسبة يطالبون بصحافة عربية، تساعدهم على فهم المرحلة التي ينتقلون إليها، وتعبر عن الرأي العام إزاء ما يجري من حوادث، ويتوالى من ظروف، فبالرغم من الطلبات العديدة التي قدمت طبقا لقانون الصحافة، لم تسمح السلطة بإنشاء صحافة عربية مغربية، بل رفضت كل طلب بتأسيس جريدة كيفما كان اتجاهها، سواء سياسيًا أو إخباريًا أو أدبيًا أو ثقافيًا، وهكذا ظلت جميع النواحي المغربية بطيئة التطور، لا تساير الحضارة في أي مظهر من مظاهرها، وظل الشعب المغربي لا يستفيد من أنظمة تطوره الجديد إلا عرضًا وبمقدار يسير.. "[٢٢] مرامي سلطات الحماية من منع الصحافة الوطنية عن أداء دورها التاريخي، واضح من خلال النص السابق، الذي يبين مدى أهمية الصحافة ومدى الخطر الذي كانت تمثله على الاستعمار وأذنابه.

لقد كانت غاية الحماية وأد كل محاولة للنهوض من المهد، وإقبار كل الجهود الرامية إلى استنهاض الهمم وتحقيق أسس رؤية جديدة، رؤية يكون فيها للتأمل والتفكير والنقد البناء نصيب، رؤية تكون بمثابة (رؤيا/ حلم)، يستطيع عبرها المثقف السلاوي تفجير طاقاته والبوح بما يخالجه من أحاسيس ومواقف تجاه قضيته الوطنية بكل حرية، "إن الحماية ما ابتغت نهضة، ولا رامت انبعاثا، ولا سعت في تحديث المؤسسة الثقافية. فقصاراها أمران: الإبقاء على الطابع المتخلف للمحافظة والإتباع، والإيعاز بالانفتاح على الغرب تيسيرا لاغتراب وتدبيرًا لاحتواء واستلاب"[٢٣] هذا التوجه يكشفه الخط التحريري لجرائد كانت ترعاها الحماية، ومنها مثلا جريدة السعادة التي كانت تصدر بطنجة ابتداء من سنة ١٩٠٤م، واستمرت في الصدور حتى تاريخ ٢٧ دجنبر ١٩٥٦م، لم يكن الخط التحريري للجريدة يتناسب وتطلعات المثقفين السلاويين والمغاربة عامة، فكان الموقف منها موقف رفض واحتراز، كان هذا الموقف مدعاة لمحاولة تأسيس صحافة وطنية حرة يكون همها نقل هموم الشعب المغربي، والنهوض به فكريًا وثقافيًا وحضاريًا، وفي هذا الصدد لابد أن نشير إلى جهود المرحوم سعيد حجي الذي تحمل عبء تهيئ الظروف لبزوغ صحافة حرة في سلا، تأتي لتستكمل بناء الصرح الأدبي السلاوي، ولتفحم كل من ساورت له نفسه مسخ الهوية المغربية وتشويه ملامحها، ومن الجرائد الوطنية التي أسست في سلا نذكر:

١/٢- جريدة المغرب:

صدرت بتاريخ ١٦ أبريل ١٩٣٧م، وكان همها أن تحيا الأمة المغربية في مستوى تطلعات أبنائها واهتماماتهم، وأن تحقق هاته الأمة الرقي والتقدم الذي حققته الأمم الأخرى، وأن تحارب الجمود الثقافي والفكري "لتحيا الأمة في مستوى لائق بها وبتاريخها واستعدادات أبنائها، وتتقدم كما تقدمت كل الأرض في ميدان المدنية والرقي الصحيح"[٢٤]. لا غرو أن الخط التحريري للجريدة جاء لينسجم مع تطلعات المغاربة وطموحاتهم، وهي طموحات تدل على بزوغ وعي جمعي لدى المغاربة قوامه ضرورة تكسير القيود والانفتاح على المعرفة بشتى صنوفها حتى تكتمل شروط بناء نهضوي يحمل مشعل التحديث والتجديد، ويعد الأجيال بنقل مشاغلهم وهمومهم وأحلامهم في إمكانية تحقيق غد مشرق، والغد المشرق لا يتحقق إلا" بسلوك سبيل التقدم والارتقاء، والصحافة باب من أبوابه، وبموجب ذلك يتعين تسخيرها لتحقيق ذلك المأرب في مضمار المدنية والتطور"[٢٥]. إن رؤية المرحوم حجي للصحافة، رؤية متقدمة تنم عن ثقافة واسعة ووعي عميق صادق بمتطلبات المرحلة، فالصحافة عنده ليست تقديم خبر وكفى، وإنما هي تحفيز للقارئ على مزيد تحليل وتفكيك ونقد "إنها تشييد لأفق مغاير لمجتمع جديد، خلق لقارئ يطلع ويقارن ويصل إلى خلاصات واستنتاجات..."[٢٦].

تبرز جليًا هذه الرؤية من خلال الافتتاحية التي خص بها العدد الأول من جريدة "المغرب"، حيث بين فيها خطة العمل وحدد فيها مرتكزات أساسية لن تقوم الصحافة بحسبه بدونها، وهي مرتكزات انسحبت فيما بعد على جل التجارب الصحفية المغربية، لقد كانت رؤيته للعمل رؤية استشرافية للمستقبل، رؤية فيها الكثير من الإبداع والتميز، رؤية "تعكس وعيًا صحفيًا متميزًا، ليس لأنها التفتت إلى المجالات برمتها، واعتبرتها حيوية في العمل الوطني، بل لأنها تمثلت آليات العمل الصحفي.."[٢٧]. لقد سخرت جريدة المغرب جهودها لدحر الجهل والتخلف الفكري، ومحاربة الجمود، ورأت في ذلك السبيل إلى التقدم والارتقاء، كانت تكشف عن معاناة الشعب المغربي وحاجته إلى الانعتاق من نير الظلم، كانت تنظر إلى الفكر باعتباره عصب الحياة الذي من شأنه إعادة الروح للمجتمع، اهتمت بالثقافة وساهمت في نشر المقالات العلمية، وكان همها ربط الماضي بالحاضر ودعوة المجتمع إلى النهوض من سبات عميق أثر في المجتمع وفي عاداته وتقاليده التي أعتراها النسيان، كانت رسالة الجريدة تقويم المنآد واستنهاض الهمم، وتوجيه المجتمع التوجيه السديد حتى يتحمل مسؤوليته التاريخية في المحافظة على الهوية المغربية ويعزز روابط التواؤم والانسجام بين مختلف مكوناته.

٢/٢- جريدة التقدم:

من الجرائد التي تأسست في سلا أيضًا، جريدة التقدم التي أسسها العلامة أحمد بن حساين النجار، كانت رسالتها لا تختلف كثيرا عن رسالة جريدة المغرب، حيث انبرت إلى خدمة الثقافة والأدب في سلا خصوصا والمغرب بشكل عام. إن الغاية من إنشائها "خدمة الأدب في مغربنا الذي مازال إلى حد الآن لم يكون حركة أدبية منظمة تسير في اتزان وتطور، فتؤدي مهماتها في حياتنا كما تؤدي حركات باقي الأقطار العربية"،[٢٨] لقد رامت الجريدة تحقيق طفرة أدبية وثقافية، فكان همها محاولة تنشيط الحركة الثقافية في حاضرة سلا، كان رهانها إذكاء روح الثقافة والمعرفة، وشحذ همم الشباب وإنقاذهم من غياهب الجهل والأمية التي كانت مستشرية في أوصال المجتمع، لقد كانت غايتها "بعث نهضة للأدب والثقافة المتنوعة يرفع بها الشعب من حضيض الجهل والركود إلى يقظة وحيوية ونهوض عام، وغايتها تلقيح العقلية المغربية بمواد ضرورية لنهضتنا، مادمنا نرمي إلى تكوين حضارة متينة الأسس، مدعمة الأركان"[٢٩].

لقد حققت الصحافة الوطنية رسالتها، إذ كانت جسرًا ممتدًا بين من يبتغي نهضة وطنية رائدة، وبين من يصبو إلى إرساء أسس إصلاحية تنويرية ترج الراكد وتخلخله من الداخل، كانت فضاء استثمره الخريجون المتعلمون لإغناء التجربة، وإثرائها بغية التنقيح والتقويم ومعالجة الإشكالات التي كانت تعترض المجتمع المغربي، فتكبله وتمنعه من النهوض، كان هَمُّ الصحافة الالتفات إلى ما يشغل بال المغربي، ودفعه إلى تجاوز براثن الجهل والأمية، وفتح الباب أمام الشباب ليعبر عما يشغل وجدانه ويهز تفكيره، كانت دعوة إلى التجريب والمغامرة، دعوة إلى النقد والتحليل والتفكيك ورفض الأفكار الجاهزة الهدامة، كانت تحديًا خاضه المثقف المغربي فانتصر فيه وأثبت أنه حقًا مبدع وناقد وشاعر وكاتب، استطاع أن يطرق باب القصيدة فيطوع أبياتها وأن يركب صهوة المقالة الأدبية والنقدية، استطاع أن يساجل ويناقش ويحاور وأن يتمرد على الراكد، فأكسب الحياة الأدبية رونقها السامي، وأخذ بيدها وساعدها على مسايرة ركب النهضة، كان هم الصحافة تعرية الواقع الثقافي وكشف

مكامن الخلل فيه، حتى تصل الثقافة والمثقف إلى لحظة مراجعة الذات وتمحيص التجارب وتشخيص بؤرة الداء ثم البحث عن الدواء الناجع.

إننا إذن إزاء فعل ثقافي سلاوي قائم على أسس وركائز متينة، آخذ بمقومات الاستمرار والرقي من خلال انفتاحه على مؤسسات مختلفة أَثْرَتْ الحراك الأدبي، وخصبت التجربة النهضوية السلاوية التي أتت لتبني صرحًا ثقافيًا وحضاريًا مغربيًا، قوامه حتمية التواصل الخصب بين تجربة المؤسسة الثقافية السلاوية، وتجربة غيرها من المؤسسات التي كانت تشتغل عبر ربوع المغرب، يكفي أن نشير هنا إلى الحراك الثقافي الذي شهدته مؤسسات مراكش الحمراء وفاس العتيقة حتى نفهم أن التجربة السلاوية لم تكن الوحيدة التي أطرت الفعل الثقافي المغربي وحاولت أن تنهض به. إن النهضة نتيجة تلاقح واحتكاك وتفاعل حواضر مختلفة. إن مهمة المؤسسة الثقافية التوجيه والتفقيه وإغناء الإرث الثقافي، مهمتها المزاوجة في هذا الفعل بين التأصيل والتجريب، ومد الجسور بين ماض متجاوز يحتاج إلى إعادة تشذيب، وحاضر يحتاج إلى مَنْ يأخذ به حتى تستمر فيه الروح، لقد مارست المؤسسة دورها التقليدي فأطرت وكونت المتعلمين ودرصت على مدهم بجذور المعرفة، كان لابد لها من تطوير المناهج والبرامج عبر إرساء تعليم ينسجم والمتغيرات التي شهدها العصر، فكان النادي الأدبي الذي شكل حلقة وصل بين مثقفي العصر يتدارسون فيه أمور المعرفة يتحاورون ويتساجلون، ثم كانت الصحافة الوطنية التي كان دورها فاعلاً في نشر المعرفة ونقل هموم المثقف المغربي الذي انحاز إلى صفوف الجماهير، وحاول إيجاد الحلقة المفقودة في علاقته بها، وذاك ما تحقق له وهو يؤسس صحافة وطنية مناضلة.

خَاتِمَةٌ

لقد أبرزت الأندية الأدبية والصحافة أن الفعل الثقافي لا يمكن أن يكون مجرد تلقين للمعارف وكفى، ولكن رسالته أعمق من ذلك، فمتى كان التعليم الناجح تلقينًا وتشديدًا على الحفظ والاستظهار. بل متى كان العالم دائما باثا والمتلقي مجرد (مستمع/ مستقبل)، لا يتفاعل ولا يساجل، ولا يناقش الأفكار التي تعرض عليه؟ إن التحصيل الايجابي والهادف، تحصيل يذكي روح السجال والمناقشة لدى المتعلمين، بل لدى العلماء أنفسهم الذين يتخذون هذا التحصيل مناسبة للنقاش والتلاقح وتبادل الأفكار.

إن مهمة المؤسسات الثقافية فتح باب الحوار على مصراعيه، وإرساء أسس حركة ثقافية سمتها الحيوية والنشاط، يكون فيها فضاء التعلم فضاء لعرض القضايا الأدبية والنقدية التي تكون مثار جدال ونقاش بين العلماء أنفسهم وبينهم وبين تلامذتهم. إن مؤسسات سلا الثقافية[٣٠] وغيرها في شتى ربوع المغرب "لم تخل من مُريد يسأل، ومن طالب يستوضح، ومن شيخ يرد ويجيب... ولم تخل من عالمين يتقارعان الحجة بالحجة، ويختلفان فيعود كل منهما إلى الأمهات يسألها، وما اختلاف العلماء إلا رحمة للعلم ورحابة للفكر والأدب".[٣١]

لقد كان هَمُّ الحياة الأدبية في سلا تشذيب الثقافة والمعرفة، وتقليم أغصانها من كل الشوائب التي يمكن أن تعتورها، وأن تعيق مسار تطورها، وأن تعتني بها قدر الإمكان، فهي حراك فكري يعكس شخصية مغربية أرادت أن تحتفل بعنفوانها الثقافي، وأن تحافظ على هذا العنفوان سامقًا شامخًا، حراك هو العمق الذي أكسب الشخصية المغربية أصالتها وفرادتها، ومقوماتها الحضارية التي كان محتما عليها صيانتها على الدوام. فصون الشخصية الثقافية لا يكون إلا بتحصين الذات والحفاظ على ملامحها، وسماتها، ونبذ التطرف والانغلاق والتقوقع ورفض الآخر.

الهَوامِشُ

(١) **المعرفة/ المؤسسة/ السلطة في الثقافة المغربية بسلا**، د. مصطفى الشليح، مطبعة الأمنية الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م. ص: ١٠١.

(٢) مجلة الإيمان، مقال لعبد الملك البلغيتي تحت عنوان: "**حلقات مجهولة من تاريخ المغرب**"، عدد ٧، يونيو ١٩٦٥م، ص: ٦٠.

(٣) **جريدة السعادة**، عدد ٣١٥٣، أكتوبر ١٩٢٧.

(٤) **جريدة السعادة**، عدد ٣١٤٥، شتنبر ١٩٢٧.

(٥) **المجتمع السلاوي في ظل الحماية (رسالة جامعية)**. إعداد د.العربي واحي، إشراف الدكتور عبد الله العروي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك. ١٩٨٨م. ص:١٩٥.

(٦) **في بلاغة القصيدة المغربية**، د. مصطفى الشليح، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص: ٣٥.

(٧) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٨) قام الأستاذ الدكتور مصطفى الشليح بجرد لجانب مهم من هذه المحاضرات في مؤلفه:- **المعرفة/ المؤسسة/ السلطة في الثقافة المغربية بسلا**، مرجع سابق، ص: ١١٤/١١١، كما جرد عددًا هامًا منها أيضًا الأستاذ العربي واحي في رسالته الجامعية: - **المجتمع السلوي في ظل الحماية**، مرجع سابق، ص: ٢٠١/٢٠٠.

(٩) **مجلة السلام**، عدد٢، نونبر ١٩٣٣، ص:٣٩.

(١٠) **مجلة المغرب**، أكتوبر١٩٣٤، ص٤-٨.

(١١) **جريدة السعادة**، عدد ٤٥٥٣، ٣١مارس ١٩٣٨.

(١٢) **جريدة السعادة**، عدد ٥٣٠٧، ٣١ يوليوز ١٩٤١.

(١٣) **جريدة السعادة**، عدد ٥٣٢٦، ٢٣ غشت ١٩٤١.

(١٤) **جريدة السعادة**، عدد ٥٣٣٠، ٢٨ غشت ١٩٤١.

(١٥) **جريدة المغرب**، عدد ١٠٠٧، ٢١ يوليوز ١٩٤٢.

(١٦) **جريدة التقدم**، عدد ١١٧، ١ يوليوز١٩٤٣.

(١٧) **جريدة المغرب**، عدد ٩٨٣، ٢٢ يونيو ١٩٤٢.

(١٨) **جريدة السعادة**، عدد ٥٦١٧، ٢٢ غشت ١٩٤٢.

(١٩) **المعرفة/ المؤسسة/ السلطة في الثقافة المغربية بسلا**، مصطفى الشليح، مرجع سابق، ص: ١٣٠.

(٢٠) مقتطف من منشور لجنة المطالبة بالصحافة العربية في المغرب: **سعيد حجي (١٩١٢- ١٩٤١): دراسة عن حياته ونشاطه الثقافي والسياسي وبعض إنتاجه**، د. أبو بكر القادري، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م، ج١، ص: ٣٠.

(٢١) **مجلة السلام**، مقال للأستاذ المرحوم علال الفاسي تحت عنوان: "**حاجتنا إلى الصحافة**"، عدد ١ مارس ١٩٣٣م، ص: ١٦.

(٢٢) مقتطف من منشور لجنة المطالبة بالصحافة العربية في المغرب: **سعيد حجي (١٩١٢- ١٩٤١): دراسة عن حياته ونشاطه الثقافي والسياسي وبعض إنتاجه**، أبو بكر القادري، مرجع سابق ، ج١، ص: ٣٠.

(٢٣) **المعرفة/ المؤسسة/ السلطة في الثقافة المغربية بسلا**، مصطفى الشليح، مرجع سابق، ص: ١٣٢.

(٢٤) انظر: افتتاحية العدد الأول من الجريدة، ١٦ أبريل ١٩٣٧م.

(٢٥) **المعرفة/ المؤسسة/ السلطة في الثقافة المغربية بسلا**، مصطفى الشليح، مرجع سابق، ص١٢٦.

(٢٦) المرجع نفسه، ص: ١٢٨.

(٢٧) **المعرفة/ المؤسسة/ السلطة في الثقافة المغربية بسلا**، مصطفى الشليح، مرجع سابق، ص: ١٢٨.

(٢٨) انظر: كلمة الافتتاح في العدد الأول من جريدة التقدم، ٢٩ يوليوز ١٩٣٨.

(٢٩) كلمة الافتتاح، العدد نفسه.

(٣٠) أماط أستاذنا الدكتور عباس الجراري اللثام عن مظاهر التجديد الفكري والأدبي الذي ساهمت فيه هذه المؤسسات في مقال تحت عنوان: "**بوادر التجديد الفكري والأدبي في العدوتين إبان عصر النهضة**"، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، مرجع سابق، ج١/ص: ٥٩ إلى ٧٣.

(٣١) **المعرفة/ المؤسسة/ السلطة في الثقافة المغربية بسلا**، د. مصطفى الشليح، مرجع سابق، ص: ١٠٠.